وان الذي ينظر الى سائر ما يتعلق بمقدرة الانسان البدنية لا يجده شيئاً مذكوراً بالقياس الى اكثر الحيوانات ولا سيما من جهة الصبر على الجوع والعطش والتعب والسهر والالم ونحو ذلك ولكنه انما يعد ارقاها بعقله اذ يستطيع من حيث هو انسان ان يكون مقلداً لعدة من انواع الحيوان فهو يستطيع تقليد السمكة والطير والجواد وسائر الحيوانات الممتازة ببعض المواهب المريحة ولكن التقليد شيء والطبيعة شيء وانه من المحال على ما نرى ان يكون الانسان طيراً في الجو من جهة التحليق والسير على موجب المشيئة بل هو لا بد ان يعد مقلداً على الدوام ولكنه اذا نظر الى تقليده بجملة حالاته يظهر انه اكثر من حيوان بل يظهر انه هو الحيوان كله لانه يستطيع ان يقلده جميعه ولذلك قالوا عنه انه شبه اله او نصف اله كما قالوا من جهة اخرى انه لولا المرأة لكان الهاً تاماً سامحهم الله

﴿ تقلص الارض ﴾

وليس المراد به هنا ان الارض تتقلص اي تجتمع اجزاؤها وتتضام وانما المراد بتجمعها صغر حجمها ومسافتها بالقياس الى نظر الانسان اليها في هذا العهد الحاضر بعد ان كان ينظر اليها في القديم وهو يعتقد انه لا حد لها ولا نهاية او انها اكبر جداً من ان يستطيع العمر كفاية طوافها او الوصول الى القارات البعيدة منها

ولقد جاءت الحكومة الفرنسوية الان تثبت شيئاً من هذا التقلص

العجيب لدى تداني المسافات والابعاد فانها نظرت الى الخريطة التي وضعتها لبلادها في سنة ١٨١٤ مشيرة فيها الى أبعاد المدن بعضها عن بعض فوجدت ان بلادها تلك قد تقلصت الى حد العشر واكثر حتى لقد صارت كانها احدى المقاطعات الصغيرة بالقياس الى القديم ولقد جعلت باريز مقياس هذا التقلص فظهر منه ان الانسان كان يسافر منها الى مرسيليا في السنة المشار اليها بمدة ١١٢ ساعة فصار يسافر اليها بمدة ٨٠ ساعة في سنة ١٨٤٠ ثم صار يقطع هذه المسافة بمدة ٣٨ ساعة ونصف ساعة سنة ١٨٦٧ ثم تدانت حتى صارت ١٣ ونصف ساعة سنة ١٨٨٧ واستقرت سنة ١٩٠٠ على ١١ ونصف ساعة ولعلها الان ازدادت تقلصاً او بقيت على آخر عهد اذ لم يذكر مقدار المدة منها الى مرسيليا في هذا العهد . الا ان هذا التقلص لم يكن عاماً لها جميعها بل هو كان واضحاً فيها من الشمال الى الجنوب اكثر منه من الشرق الى الغرب وذلك بسبب بطء السكك الحديدية الغربية اما سائر الممالك الاوربية فقد جرت في نفس هذا الميدان على مثل هذا الاختلاف من حيث ضعف السكك وشدتها واما انكلترا فقد تقلصت اشد من ذلك بكثير حتى صارت كانها عدة اميال في انظار اهلها لان السكك الحديدية هناك على غاية السرعة وهي واشجة الى كل مكان

اما سائر الارض فجارية ايضاً في هذه الحلبة وهي تزداد تقلصاً على الايام كما اشرنا الى ذلك فيما مر من الاجزاء . فمن بقاعها ما تقلصت مسافته بانفاق تحت الجبال كما جرى بين ايطاليا وفرنسا وكما يجري الان ايضاً لتقريب ايطاليا من انكلترا اكثاراً لعدد السائحين . ومنها ما تقلص بسرعة البواخر حيناً واختيار الخط الاقرب حيناً . ومنها ما يتقلص باقامة الجسور

ووصل الخطوط ولكن اكثر ذلك حاصل من السرعة نفسها فان كل المنافسة فيها وكل الرغبة منصرفة اليها بكل طريق من يابسة وبحر وهواء كما ان هذا التقلص ليس حادثاً من جهة الوقت والمسافة بل من جهة النفقة ايضاً فانها قلت على مقادير تلك النسبة حتى صارت النفقة للوصول الى اقصى الارض معادلة لنفقة اقرب المسافات في الدهر القديم

على ان الانسان لم يكتف بكل ما تم بل هو جاد فيه بسرعة في كل صقع فان فرنسا واسبانيا تتفقان لتقريب المسافة بينهما عدة ساعات بانفاق تحفر تحت جبال بيرينيس واميركا تحاول الوصول الى جزيرة كوبا باقرب سبيل وذلك باقامة جسور على جزائر فلوريدا تصل الواحدة بالاخرى الى مسافة ٧٥ ميلاً بحيث يرى الانسان نفسه سائراً في البحر على قطار حديدي كما يشاهد المسافر عندنا حين اجتيازه الملاحة الى مريوط فانه يرى نفسه بين ماءين ولا شك ان اكثر الممالك تكون الان جارية على هذا المجرى بسرعة تقتضيها سرعة التمدن والسعي التجاري

اما هذا التقلص الارضي من جهة حقيقته فجدير بان يرد الى عكسه فيقال بان الارض تنفسح وتتضخم وذلك لان كل مكان تدنو مسافته من مكان يزداد عمرانه واستغلاله حتى تصبح الارض به وبامثاله وهي كانها عدة ارضين من جهة الغلة وانتفاع الانسان ولكنه اذا حسب تقلصها من جهة الوقت والمسافة ونظر في ذلك الى تداني الانسان بعضه من بعض من حيث التفاهم والتخاطب كانت كل هذه الارض كانها منزل واحد بدون مبالغة لان التلغراف السلكي واللاسلكي والتلفون قد وصلت كلها الى كل مكان واصبح الانسان بها على علم دائم بكل مايجري لاخوانه في كل الارض